



آثار الغزو المغولي لبغداد على النواحي العلمية والصحية والاقتصادية

The effects of the Mongol invasion of Baghdad on the
scientific, health, and economic aspects

إعداد

خالد بن حسين جرادي الثقفي
Khaled Hussein Jaradi Al-Thaqafi

Doi: 10.21608/ajahs.2025.466237

استلام البحث ٢٠٢٥ / ٢ / ١٨

قبول البحث ٢٠٢٥ / ٩ / ١٥

الثقفي، خالد بن حسين جرادي (٢٠٢٥). آثار الغزو المغولي لبغداد على النواحي العلمية والصحية والاقتصادية. *المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٧)، ٧٥٧ – ٧٧٨.

<http://ajahs.journals.ekb.eg>

آثار الغزو المغولي لبغداد على النواحي العلمية والصحية والاقتصادية المستخلص:

كان ظهور المغول واجتياحهم للعالم الإسلامي وسقوط بغداد وما ألحقوا به من الدمار والخراب والهلاك ببلاد الإسلام عامة وببغداد خاصة، فترة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين، حيث كان للصراع المستمر في منطقة الجزيرة العربية، بين الملوك والأمراء المحليين، دور كبير في خلق حالة من الفوضى بفعل الحروب المتواصلة والخلافات المتفاقمة التي أدت إلى تفكك وتراجع قوة المنطقة، كما أدى الغزو المغولي لبغداد إلى آثار كارثية على الصعيد العلمي والصحي والاقتصادي، حيث أسفر عن خسائر هائلة في الكنوز المعرفية نتيجة حرق المكتبات، وانتشار الأوبئة بسبب المذابح وتكدس الجثث، إلى جانب الانهيار الاقتصادي الناتج عن النهب والدمار الشامل، هدف البحث إلى عرض أهم الأحداث التي جرت قبل وأثناء الحرب وبعد الغزو على مدينة بغداد، التعرف على آثار الغزو على النواحي العلمية، التعرف على آثار الغزو على النواحي الصحية، التطرق إلى آثار الغزو على النواحي الاقتصادية. توصل الباحث إلى النتائج التالية: أن المغول عمدوا إلى تعطيل الحركة العلمية في بغداد من خلال هدم وتخريب المؤسسات العلمية، كشف البحث المعاملة السيئة والإهانة والقتل لأولئك العلماء وعدم احترامهم، سقوط مكانه بغداد العلمية والاقتصادية بسبب غزو المغول أعطى فرصة للقاهرة انتزاع المكانة المرموقة عند المسلمين، ويوصي بالتالي: إجراء مزيدا من البحوث عن غزو المغول لبغداد لا زال هناك غموض وخاصة الآثار الصحية والاقتصادية، ضرورة استفاد المسلمون من غزو المغول لبغداد من خلال استيعاب الدروس المستخلصة من الأسباب التي أسهمت في سقوطها، مثل غياب الوحدة السياسية والعسكرية، وتأثير هذا الأمر على استقرار البنية التحتية وحياة العلماء، العمل على الوحدة والتنسيق العسكري والسياسي بين المسلمين كأمة مسلمة لمواجهة التهديدات الخارجية.

Abstract

The emergence of the Mongols and their invasion of the Islamic world, the fall of Baghdad, and the destruction, devastation, and ruin they inflicted on the lands of Islam in general and on Baghdad in particular, was a turning point in the history of Islam and Muslims, as the ongoing conflict in the Arabian Peninsula region, between local kings and princes, It played a major role in creating a state of chaos due to continuous wars and escalating disputes that led to the disintegration and decline of the region's power. The Mongol invasion of Baghdad also had disastrous effects on the scientific, health and economic

levels, as it resulted in huge losses of intellectual treasures due to the burning of libraries, and the spread of epidemics due to massacres and the accumulation of corpses, in addition to the economic collapse resulting from looting and widespread destruction, this research aimed to present the most significant events that occurred before, during, and after the invasion of Baghdad; to identify the invasion's impact on scientific fields; to understand its effects on health; and to address its economic consequences. The researcher reached the following conclusions: The Mongols deliberately disrupted the scientific movement in Baghdad by demolishing and destroying scientific institutions. Research revealed the mistreatment, humiliation, and killing of those scientists and the lack of respect shown to them. The fall of Baghdad's scientific and economic status due to the Mongol invasion gave Cairo the opportunity to seize the prestigious position among Muslims, He therefore recommends: conducting further research on the Mongol invasion of Baghdad, as there is still ambiguity, especially regarding the health and economic effects; the necessity for Muslims to benefit from the Mongol invasion of Baghdad by absorbing the lessons learned from the reasons that contributed to its fall, such as the absence of political and military unity. The impact of this on the stability of the infrastructure and the lives of scientists, working towards unity and military and political coordination among Muslims as a Muslim nation to confront external threats.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. له الشكر وله الحمد في كل شيء، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

كان غزو المغول للعالم الإسلامي نتيجة لتطورات سبقت ذلك ولم يكن مجرد حادثة مفاجئة وخالية من التحضير، فقد تمكنت جيوش المغول سابقاً من شن حملات توسعية واسعة النطاق، حيث أخضعت شمال الصين، وأسقطت الدولة الخوارزمية المسلمة، وفرضت سيطرتها على مناطق خراسان ومرو وبخارى وسمرقند،

وأذربيجان، بالإضافة إلى روسيا الجنوبية وشبه جزيرة القرم والقوقاز. كل ذلك حدث بينما ظلت بغداد غافلة وغير مدركة للخطر الداهم.

بعد تولي "أوكتاي" خلافة جنكيز خان، شنت جيوشه حملات مكثفة على شمال جبال الأورال وبحر الخزر، مستهدفة مدن موسكو وبلغار الواقعة على نهر الفولغا، حيث تمكنت من هزيمة البولنديين وتدمير مدينة براسلاف الألمانية. كما نجحت في توجيه ضربة قوية لحاكم سيليسيا، هنري الثاني، الذي اختار إنهاء حياته بعد تعرضه للهزيمة. لاحقاً، حينما تولى "مانكو" زمام الإمبراطورية خلفاً لأوكتاي، اعتمد نهجاً متسامحاً بالرغم من وثنيته، وأرسى نظاماً يضمن التعايش بين مختلف الأديان مثل الإسلام والمسيحية والبوذية، حيث مُنحت المساجد والكنائس والمعابد نفس القدر من الاهتمام. بعدها أوكل "مانكو" مهمة غزو الغرب الآسيوي، بما في ذلك أراضي المسلمين وعاصمة الخلافة بغداد، إلى أخيه "هولاكو". كل هذا الحدث بينما كان الخليفة وقادته العسكريون منشغلين في أمورهم الشخصية بعيداً عن الاستعدادات العسكرية اللازمة.

وكان ظهور المغول واجتياحهم للعالم الإسلامي وسقوط بغداد وما ألقوا به من الدمار والخراب والهلاك ببلاد الإسلام عامة وببغداد خاصة، فترة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين.

حيث كان للصراع المستمر في منطقة الجزيرة العربية، بين الملوك والأمراء المحليين، دور كبير في خلق حالة من الفوضى بفعل الحروب المتواصلة والخلافات المتفاقمة التي أدت إلى تفكك وتراجع قوة المنطقة. هذا الوضع الملتبس ساهم بشكل كبير في تمهيد الطريق للمغول لشن هجماتهم على المنطقة، مما أتاح لهم فرصة التوغل إلى آسيا الصغرى والسيطرة على بعض المواقع الاستراتيجية فيها. هذه المواقع أصبحت بمثابة قواعد دعم وانطلاق للمغول، مكنت زحفهم لاحقاً نحو احتلال أجزاء رئيسية من العالم الإسلامي، خاصة العراق والشام ومصر.

وعام ١٢٥٨م كان حدثاً كارثياً أدى إلى آثار علمية مدمرة، من أبرزها إتلاف "بيت الحكمة" وتدمير المكتبات، الأمر الذي تسبب في فقدان آلاف المخطوطات والكتب القيمة التي كانت رمزاً للعصر الذهبي للحضارة الإسلامية. نتج عن ذلك تدمير المراكز العلمية ومحو محتواها، ما أسهم في شل الحركة العلمية والفكرية بالمدينة لعقود طويلة. ولم يكن أمام العلماء والباحثين سوى الهجرة إلى مناطق أخرى بحثاً عن بيئة أكثر أمناً تمكنهم من مواصلة نشاطهم العلمي والإبداعي.

وبعد احتلال بغداد تباينت أعداد القتلى في التقارير، لكنها كانت متطابقة جميعها، وكان الأمر مذهلاً ثم جاء المطر لغير وجوههم وملاً برائحة الجثث المتحللة، تلا ذلك وباء كان قويا جداً لدرجة أنه انتقل عبر الهواء إلى بلاد الشام.

أدى الغزو المغولي لبغداد على كارثة اقتصادية كبيرة، تمثلت في نهب الثروات، تدمير البنية التحتية، تعطيل طرق التجارة، وهجرة الكفاءات. هذه الأحداث

أسفرت عن انهيار اقتصاد المدينة وتدهور الأوضاع المعيشية بشكل عام. نتيجة لذلك، تعرض الاقتصاد الإسلامي لانتكاسة حادة، مما أدى إلى انتقال مركز العلم والثقافة إلى الغرب.

مشكلة البحث:

أدى الغزو المغولي لبغداد إلى آثار كارثية على الصعيد العلمي والصحي والاقتصادي، حيث أسفر عن خسائر هائلة في الكنوز المعرفية نتيجة حرق المكتبات، وانتشار الأوبئة بسبب المذابح وتكدس الجثث، إلى جانب الانهيار الاقتصادي الناتج عن النهب والدمار الشامل. فقدت بغداد مكانتها البارزة كمركز عالمي للعلم والازدهار، وشهدت الحضارة الإسلامية في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي تراجعاً كبيراً، وإن لم يُكتب لها الزوال تماماً، كما يظهر بوضوح في إسهامات علماء بارزين ظهوروا لاحقاً في مناطق أخرى مثل الشام ومصر.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع إلى أن هذه الفترة في التاريخ الإسلامي كانت فترة انتقال حيث سقطت الخلافة العباسية في بغداد، ولم يعد للعالم الإسلامي خليفة يمثل وحدة المسلمين ومن جهة أخرى مرت الآثار السلبية لهذا الغزو على بغداد.

أهداف البحث

- عرض أهم الأحداث التي جرت قبل وأثناء الحرب وبعد الغزو على مدينة بغداد.
- التعرف على آثار الغزو على النواحي العلمية.
- التعرف على آثار الغزو على النواحي الصحية.
- التطرق إلى آثار الغزو على النواحي الاقتصادية.

الدراسات السابقة:

عند الاطلاع على أدبيات البحث رأى الباحث بأن هناك شح في الدراسات عن الدراسات التي تناولت الغزو المغولي على بغداد من النواحي الصحية والاقتصادية فمعظمها كان تحدث عن الغزو بصورة عامة ومن الناحية العلمية فتم الحصول على الدراسات التالية:

أولاً: دراسة بعنوان: الغزو المغولي لبغداد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) دراسة تحليلية، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٥٦ يوليو ٢٠٢٤م هدفت إلى التعرف على الأسباب التي دفعت المغول للتنازل واحتلال بغداد واسقاط الخلافة العباسية. التعرف على أهم الأحداث التي سبقت إحلال مدينة بغداد، وكذلك أحداث الحرب.

ثانياً: دراسة بعنوان: الغزو المغولي للعالم الإسلامي في عهد (هولاكو). د. عبد الله عبد العزيز التقاز. مجلة كلية التربية أبو عيسى، جامعة الزاوية. العدد السابع، ٢٠٢٠ هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب غزو هولاكو لبلاد الإسلام. والتعرف على أسباب الدمار والفساد والخراب وحرق المكتبات.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التاريخي حيث يعد أسلوباً منهجياً يعتمد على جمع وتحليل البيانات المرتبطة بالماضي بهدف فهم الحاضر واستشراف المستقبل، يقوم هذا المنهج على استخدام المصادر الأولية والثانوية، مع تقييمها ونقدها بشكل موضوعي. يتمحور جوهره حول الاستناد إلى الأدلة والبراهين لتفسير الأحداث التاريخية وفهم الترابط بين الماضي والحاضر، مما يساهم في تطوير معرفة دقيقة ومستندة إلى أسس علمية متينة.

التمهيد

كان الغزو المغولي واحتلال بغداد قد ازال عهداً متميزاً يمثل ما وصل اليه الفكر الاسلامي من تقدم ورقي في كل المجالات سواءاً من الناحية العلمية أو الاقتصادية أو الفكرية وغيرها من المجالات ثم مجيء عهد أدى الى زوال الخلافة من بغداد وبالتالي تدهور ما وصلت اليه الحضارة العربية الاسلامية.

فعندما إحتل المغول بقيادة السفاح هولاكو ^(١) بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م قاموا بقتل الناس وأسرهم ونهبهم وتعذيبهم بأنواع العذاب وإستخراج الأموال منهم مدة أربعين يوماً ^(٢). وقد اختلف المؤرخون في عدد من قُتل في واقعة بغداد، فذكر ابن الفوطي: أن القتل كانت في الدروب والاسواق كالتلؤل، وانهم زادوا على ثمانمائة ألف نسمة عدا من ألقى في الوحل من الأطفال، ومن هلك في القنّى والآبار وسرايب الموتى جوعاً وخوفاً. وقدرهم الذهبي ^(٣) ألف وألف وثمانمائة ألف وزيادة.

(١) هولاكو : قام باحتلال بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين، الخليفة المستعصم بالله (ت : ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) واشتهر بالبطش والجبروت: الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد ابن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، (مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٩٩٣م). ج ١٣، ص ٥٢٣؛ المقرئ: أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج ٢، (مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧م)، ص ١٨٥.

(٢) ابن الفوطي: كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: تحقيق مهدي النجم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٣٦، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٠٢، في حين ذكر ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي، تاريخ مختصر الدول، تصحيح: الأب أنطون صالحاني، ط ٣، (دار الرائد، اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٢٧٢، والذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار التركماني، دول الاسلام، ط ٢، (جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٦٥هـ)، ص ١٢١.

(٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) الذهبي، دول الاسلام، ج ٢، ص ١٢١.

وقدرهم ابن خلدون ^(٥) بألف ألف وثلثمائة ألف. وقد أشار ابن كثير ^(٦) إلى اختلاف الروايات في تقديرهم حتى قال: « وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة فقبل ثمانمائة ألف ؛ وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألف ألف نفس ». وعلى الأرجح ما ذكره ابن الفوطي ^(٧) وهو ثمانمائة ألف نسمة؛ لأنه مؤرخ عراقي ومعاصر للأحداث. وكان استهتار المغول بنفوس أهل بغداد بالغاً حد الفساعة؛ فقد قام أحدهم ودخل زقاقاً، وقتل اربعين طفلاً شفقة منه ورحمه حين علم أن أمهاتهم قتلن ^(٨).

وفصل ابن كثير ^(٩) حادثة سقوط بغداد ومقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله ^(١٠) على يد المغول في حوادث سنة ٦٥٦ هـ، وذكر: أن جيش المغول ٢٠٠ ألف أما جيش بغداد فعشرة آلاف، وأن الوزير ابن العلقمي ^(١١) هو الذي أقنع الخليفة أن يُخفّض عدد

(٥) عبد الرحمن بن محمد المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٥٤٣.

(٦) البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٧، ص ٢٠٢.

(٧) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٣٧.

(٨) الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ب ط، (مكتبة الشريف وسعيد رافت، ١٩٧٤م) ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(١٠) عبد الله بن منصور بن المستنصر بالله الملقب بالمستعصم بالله العباسي، آخر الخلفاء العباسيين؛ وهو الخليفة ٣٧، ولد المستعصم بالله العباسي سنة ٦٠٩ هـ في بغداد، أمه هاجر، وقد عُرف بجمال الوجه وحسن السريرة والتدين، وامتاز حكم المستعصم بالله العباسي بأمور عديدة منها: عدم الحزم، واللين والضعف، وقد عُرف بالعدل بين الرعية وانفاق الصدقات، كما أنه أكثر من جمع المال وانفاقه، وقد وصل المستعصم بالله العباسي إلى الحكم سنة ٦٤٠ هـ، وذلك بعد وفاة والده المستنصر بالله، قتل على يد المغول عام ٦٥٦ هـ، محمود شاكر، الدولة الإسلامية الدولة العباسية، ج ٢، ط ٦، (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١١) محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي الرافضي، وزير الخليفة المستعصم، وكانت دولته أربع عشرة سنة فأفشى الرفض فعارضه السنة، واكتب، فتنمر، ورأى أن هولاء له رغبة في قصد العراق فكاتبه وقوى عزمه على قصد العراق، ليتخذ عنده يداً، ولتتمكن من إغراضه، وحفر لألعة قليبا، فأوقع فيه قريبا، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشا واحدا، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب السلطان. سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي توفي ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م حققه بشار عوار معروف والدكتور محيي هلال السرحان

الجيش من مائة ألف إلى عشرة آلاف، ويتهم ابن كثير هذا الوزير صراحة بأنه خائن ومتآمر مع المغول، وأنه كان يزودهم سرا بالمعلومات، ويخدع الخليفة. ويقول ابن كثير^(١٢) أيضا « أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها. استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار، هولاكو خان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفا على نفسه من التتار، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى... وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب... فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة. وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب ففتحتهم التتار إما بالكسر وإما بالنار. ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الزمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا، بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت أنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة»^(١٣). ويقول أيضا « وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنطرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه». « ولما نودي في بغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان في المطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نيشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد ففلقوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى». وقد انتهت هذه الحادثة بقتل الخليفة المستعصم وابنيه أبي العباس أحمد وأبي الفضائل عبد الرحمن، وأسر ابنه الأصغر مبارك وإخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم^(١٤).

ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ج ٢٣، ص ٣٦٢، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢٤١.

(١٢) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ص ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢.

(١٣) الهمداني: رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، (ت: ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م): ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون، ج ١، (دار إحياء الكتب العربية، ب. ت)، ص ٣١٩، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ٢٣٦.

(١٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٧٥.



آثار الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد

كانت بغداد في العصر العباسي ملتقى للعلوم والآداب والفن والطب والفلك وغير ذلك إضافة لما تزخر به من مؤسسات تعليمية مثل المساجد والمدارس^(١٥). وقد ذكر ابن جبير^(١٦) عند زيارته لبغداد عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م: «والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرفية». وذكر القلقشندي: «أن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث وذكر خزائن الخلفاء العباسيين منها بيت الحكمة وقد ضم كتباً نفيسة وبمختلف اللغات...»^(١٧).

لقد أشارت المصادر التاريخية إلى آثار غزو المغول على بغداد في عام ٦٥٦ هـ من تخريب المساجد والجوامع ببغداد^(١٨)، وإحراق أكثرها مثل جامع الخليفة^(١٩). وقتل الخطباء والأئمة وحفظ القرآن الكريم^(٢٠)، وتخریب المدارس والمعاهد^(٢١)، وتعطيل الربط^(٢٢)، ومن أشهر المدارس التي تأثرت بالهجوم المغولي المدرسة النظامية^(٢٣) والمدرسة المستنصرية^(٢٤).

(١٥) عماد عبد السلام عبد الرؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، ط ١ (مطبعة دار البصري - بغداد، ١٩٦٦ م)، ص ٢١٧.

(١٦) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ)، ب ط، (دار صادر - بيروت، ب ت)، ص ٢٠١.

(١٧) القلقشندي: ابن العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، ص ١٤١، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق يوسف علي طويل، ج ١، ب ط، (دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م)، ص ٥٣٧.

(١٨) ابن القوطي: الحوادث الجامعة، ص ١٣٨.

(١٩) جامع الخليفة: سمي جامع القصر، أنشأه الخليفة العباسي المكتفي، وهو بمثابة الجامع الرسمي للدولة العباسية، عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، (دار البصري، بغداد، ١٩٩٦ م)، ص ٧٥.

(٢٠) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٣، ص ١٥٩.

(٢١) الصياد: فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، ج ١، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠ م)، ص ٢٨١.

(٢٢) الربط: كانت تتخذ ملجأ للفقراء وإيواء النساك والزهاد، ومكاناً للتدريس وتعليم القرآن والحديث وأمور الدين، معروف ناجي: المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة، ط ٢، (مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧ م)، ص ٣٠٧.

(٢٣) المدرسة النظامية: أول المدارس التي أنشأها نظام الملك حسين بن اسعاف على شاطيء دجلة ببغداد في عام ٤٥٧ هـ، وقد اشتهرت بالنشاط العلمي والمؤلفات، كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة، ط ٢، (دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)، ص ١٤٥، ١٤٦.

بل وصل الحقد المغولي إلى إلقاء الكتب في نهر دجلة حيث ذكر ابن خلدون^(٢٥) بقوله: «ألقيت كتب العلم التي كانت في خزائهم في دجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عندما فتحوا المدائن». ويقول ابن تغري بردي^(٢٦): «وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا ، مثل أنهم بنوا بها جسراً من الطين والماء عوضاً عن الأجر وقيل غير ذلك». أما قطب الدين النهرواني^(٢٧) فذكر أن المغول رموا الكتب في الرات ومن كثرتها بنو جسراً يعبره المشاة وقد تغير لون الماء. ويشير حسن إبراهيم حسن^(٢٨) بقوله: «أُتلف المغول عدداً كبيراً من الكتب القيمة التي كانت في مكتبات القصور ببغداد». أما الخالدي^(٢٩) فيقول: «إن المغول استباحوا بغداد أربعين يوماً من سفك الدماء وحرق للبيوت وتدمير الحضارة والعلم». وقد تأثرت تب المدرسة النظامية برميتها في نهر دجلة وإحراقها^(٣٠) فأشار الألوسي^(٣١) بقوله: «إن المدرسة المستنصرية لم تزل على ما كانت عليه منذ إنشائها إلى احتلال بغداد على يد المغول الفجار فجميع ما كان في هذه المدرسة من كتب

- (٢٤) المدرسة المستنصرية: أنشأها الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٣٠ هـ ، في الجانب الشرقي من بغداد من أشهر المراكز العلمية، تضم أنواع المصنفات، كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة، ص ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.
- (٢٥) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج ٥ ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م)، ص ٥٤٣.
- (٢٦) جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، (المؤسسة المصرية العامة، ب ت) ، ص ٥١.
- (٢٧) قطب الدين: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٠ هـ) ، ص ١٦٣.
- (٢٨) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٤ ، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧ م) ، ص ١٦٠ .
- (٢٩) الخالدي، إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغزو المغولي، (مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٤ م) ، ص ٩٠ .
- (٣٠) الفيكننت فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، ج ١ ، (مطبعة جوزيف العقلي، بيروت، ب ت) ، ص ١٠٧ .
- (٣١) الألوسي، محمود شكري: تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الأثري، (مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٦ هـ) ، ص ٩٧ - ٩٨ .

وفرش ومرافق قد نهيه جند المغول المخذول». ومع هذا لم ينحصر أثر كارثة بغداد في الكتب والمكتبات بل امتد إلى هلاك الكثير من رجال العلم قدروا بالآلاف ولم تبق منهم إلا فئة قليلة مشردة الأذهان^(٣٢). فلم يرحم المغول عالماً لعلمه^(٣٣). بل تغلغل الحقد عند ابن العلي في مكانته للمغول عندما جمع سادة ومدرسي وعلماء بغداد ليحضروا زواج ابن الخليفة المستعصم بالله فقتلهم من آخرهم^(٣٤). ولم تشر المصادر التاريخية إلى عدد أعداد العلماء الذين قتلوا في هذه المجزرة إلا ما أشار إليه ابن بطوطة في كتابه^(٣٥) بقوله: «أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو بكر أن ابن الحاج أعزه الله قال: سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين بن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ فتفاوضنا الحديث فقال لي هلك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرين ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك». كما كان لغزو المغول أثر في نقل المراكز العلمية إلى مصر وبلاد الشام وانتعاش الحياة العلمية هناك وذلك يعود لانتقال العلماء والأدباء هرباً من بطش المغول في بغداد. فيذكر العربي^(٣٦): «إن سقوط بغداد أدى إلى انتقال مراكز الدراسات الإنسانية إلى مصر وفي الوقت نفسه تفرق العلماء والأدباء في أنحاء العالم الإسلامي فزاد ذلك قوة الجامعات والمدارس التي حلّوها» فأصبحت القاهرة منذ احتلال المغول للعراق قلباً للعالم الإسلامي. وصارت منطقة آمنة لطلاب العلم والأدب يغدون إليها من كل صوب^(٣٧). ومن الآثار السلبية لهذا الغزو انحسار حركة التأليف في الأدب والشعر فقد ذهب عشاق الأدب والشعر. أمّا خزائن الكتب (المكتبات) فلم تسلم من الدمار المغولي لها فأشار ابن الساعي

(٣٢) الصياد: المغول في التاريخ، ص ٢٨١.

(٣٣) دحلان: أحمد زيني، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩ م)، ص ٢٠٥.

(٣٤) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ج ٣، (المطبعة الحسينية، مصر، ب ت)، ص ١٩٤.

(٣٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٣ م)، ص ١٧١.

(٣٦) العربي: السيد باز: المغول، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧ م)، ص ٢٦.

(٣٧) الصياد: المغول، ص ٢٨٢.

(٣٨) بقوله: «بنو أسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللين» . بل اضطر أعداد كبيرة من الناس الذين يملكون كتب قيمة ونفيسة إلى بيعها من أجل توفير الطعام (٣٩) . كما أشار ابن الغوطي (٤٠) إلى قيام نصير الدين الطوسي بجمع كتب كثيرة من العراق لأجل الرصد الذي بناه في مراغه (٤١) . وهذا ما أشار إليه ابن شاعر الكتبي (٤٢) وابن كثير (٤٣) .

أهم العلماء الذين قتلوا على يد المغول في بغداد :

- ابن صلايا تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى العلوي (٤٤) .
- أحمد بن القزويني الهاشمي (٤٥) .
- أبو الفضل محمد بن طاوس العلوي (٤٦) .
- الشمس علي بن يوسف الكاتب اشتهر بالكتابة (٤٧) .
- أبو المعالي القاسم بن هبة الله محمد بن محمد كان فاضلاً كامل الأدب غزير العلم (٤٨) .
- أيرعمش الشرقي (٤٩) .

(٣٨) تاج الدين علي بن انجب: مختصر أخبار الخلفاء ، ط ١ (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٠٩ هـ) ، ص ١٢٧ .

(٣٩) ابن الغوطي : الحوادث الجامعة، ص ٢٣٧ .

(٤٠) المصدر السابق، ص ٢٤٠ .

(٤١) مراغة: بلدة مشهورة في بلاد أذربيجان كانت تسمى افراز هوود. عسكر فيها مروان بن محمد وتمرغت في مراعيها خيول المسلمين، ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان، ج ٥، (دار الفكر - بيروت، ب ت) ، ص ٩٣ .

(٤٢) ابن شاعر الكتبي: محمد بن شاعر: فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس، ج ٣، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م) ، ص ٢٤٧ .

(٤٣) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧ ، ج ١٣ ، ص ٢١٥ .

(٤٤) محمد بن نصر بن صلايا كان من رجال العلم رأياً وعقلاً وحزماً جواداً، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن عبد الله الصفدي (ت ٧١٤ هـ) ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وآخرون، ج ٥ (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ، ص ٨٨ .

(٤٥) أحمد بن القزويني الهاشمي شيخ رباط الدرجة ، وكان شيخاً عاقلاً قتل وعمره فوق الخمسين عاماً ، إسماعيل بن العباس الغساني (ت ٨٠٣ هـ) : المسجد المسبوك والجواهر المحوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : شاعر محمود عبد المنعم ، (دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ م) ، ص ٦٣٩ .

(٤٦) المصدر السابق نفسه .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٦٣٨ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٦٤١ .



- البغدادي شرف الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الرحمن الجوزي اشتهر بالعلم والفصاحة^(٥٠).
- الصرصري اشتهر بالكتابة والعلم^(٥١).
- البغدادي علي بن سليمان بن أبو القرابن الخباز من علماء بغداد^(٥٢).
- التبريزي يحيى بن سعد، كان شاباً عاقلاً فاضلاً قام بتدريس العلوم^(٥٣).
- التقي الموسوي نقيب مشهد موسى بن جعفر قتل وعمره تجاوز الثلاثين^(٥٤).
- الجمال القرويني، كان أديباً فاضلاً وشاعراً^(٥٥).
- ابن الحظيري علي بن يوسف بن سعد بن علي^(٥٦).
- الدويدار الصغير الملك المجاهد ابيك^(٥٧).
- الرشيدي عبد الله بن عباس^(٥٨).
- ابن سكينه عبد الوهاب بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب^(٥٩).

آثار الغزو المغولي على الحياة الصحية في بغداد

انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات:

لقد سبب غزو المغول لبغداد كارثة بيئية بسبب أعداد القتلى الكبيرة المتناثرة في الطرقات كأنها التلوث، ثم تساقطت عليها الأمطار فأنتنت المدينة من جثثهم، وتغير الهواء، مما جعل هولاء ينقل مخيمه من المدينة بسبب رائحة عفن الجثث^(٦٠). فحصل وباء شديد حتى وصل إلى بلاد الشام عبر الهواء، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح في حلب ودمشق^(٦١).

(٤٩) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر تدمري، ج٤٨ ، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م) ص ٣٠٨.

(٥٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، (بيت الأفكار) ، ص ٥٥٢.

(٥١) الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٤٨ ، ص ٣٠٤.

(٥٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣ ، ص ٢١٣.

(٥٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨ ، ص ٣٠٩.

(٥٤) الغساني: العسجد المسبوك، ص ٦٣٩.

(٥٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤٨ ، ص ٣١٠.

(٥٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٩.

(٥٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١ ، ص ١١٧٥.

(٥٨) الذهبي: المصدر السابق نفسه، ص ٥٢١.

(٥٩) الغساني: العسجد المسبوك ، ص ٦٣٨.

(٦٠) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٣٦.

(٦١) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٠٣.

يقول ابن كثير: «فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وكان لشرب الماء المختلط بالجيف^(٦٢) دور في انتشار الأمراض حتى كان الناس يكثر من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب الذي ملأ الفضاء والذي تسبب في سقوطه على الطعام فيفسده^(٦٣).

ومن آثار الغزو المغولي على بغداد انقطاع الخبز في كثير من الأوقات بسبب غلاء الأسعار^(٦٤).

وكان لإهمال المغول لبغداد آثار سلبية على الطب حيث تدهور واقع الطب والصيدلة وأصبحت قائمة على الشعوذة والدجل^(٦٥).

الآثار الصحية:

- ويمكن حصر الآثار الصحية للغزو المغولي على بغداد فيما يلي:^(٦٦)
- انتشار الأمراض والأوبئة: ساهمت المجازر الكبيرة في تفشي الطاعون وأمراض أخرى في بغداد والمدن القريبة، حيث تراكمت جثث الضحايا في الشوارع والمنازل
- التدهور البيئي: أدى تراكم الجثث إلى تلوث الهواء والمياه، مما ساهم في تفشي الأمراض المعدية وربما أثر على المناخ المحلي
- انهيار الخدمات الصحية: نتيجة الغزو الكاسح، تعرضت المدن للدمار ونهبت الموارد، مما تسبب في شلل الخدمات الأساسية ونقص حاد في الغذاء والمياه النظيفة. ومع انهيار النظام الصحي، غابت العناية والرعاية الطبية عن المصابين.
- التأثيرات النفسية: خلف الغزو صدمات شديدة لدى الناجين، انعكست بشكل سلبي على صحتهم النفسية والجسدية على المدى البعيد.
- الخسائر البشرية: أودت الحرب بحياة ما يقارب المليون شخص، كان من بينهم العديد من العلماء والمتفقيين، بالإضافة إلى آخرين فقدوا حياتهم نتيجة الجوع والأمراض.

(٦٢) ابن القوطي: المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٦٣) المصدر السابق نفسه.

(٦٤) المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٦٥) عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، ط ١، (مطبعة أسعد، بغداد)، ص ٧٣.

(٦٦) ابن العبري، الحوادث الجامعة، العراق في عهد المغول، دار بغداد للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص ٢٤٣.

- تفشي الأوبئة: اجتاحت الطاعون والأوبئة سوريا ومصر قادمة من بغداد، وامتدت إلى مناطق بعيدة بسبب الأمطار التي جرفت جثث الموتى، مما ساهم في انتشار الجراثيم والأمراض على نطاق واسع..

انتشار الطاعون:

في عام ٢٠٠٧، أعلن باحثون متخصصون بفحص أعمال قطب الدين الشيرازي (المتوفى عام 1311) أحد أبرز علماء القرن الثالث عشر، عن اكتشاف مخطوطة بخط يده تحتوي على نص غير معروف من قبل يحمل عنوان "أخبار المغول". وقد صدرت النسخة الأصلية بالفارسية عام ٢٠١٠، وترجمت لاحقاً إلى الإنجليزية في عام ٢٠١٨. يروي النص تفاصيل عن حادثة ضرب الطاعون (الوباء) أثناء حصار بغداد عام ١٢٥٨، مما أدى إلى وفاة عدد هائل من الناس.^(٦٧) كانت معدلات الوفيات مرتفعة للغاية لدرجة أن طقوس الدفن التقليدية لم تستطع الاستمرار، فأُلقيت الجثث بدلاً من ذلك في نهر دجلة، كما أصيب معظم جيش المغول بالمرض. من جانب آخر، ودون علمها بهذا الاكتشاف الجديد، أشارت المؤرخة منى حسن في أحدث أعمالها حول سقوط بغداد والصادرة في عام ٢٠١٧ إلى وجود ست روايات تاريخية أخرى كتبها معاصرون أو مؤرخون من الجيل الثاني. وقد وثقت هذه الروايات انتشار ما أسمته بـ "الطاعون" عقب سقوط بغداد. وصف حسن لهذه المشاهد جاء بدقة ووضوح بالغين هو عند خروج الناجين القلائل من مخابئهم تحت الأرض بعد الحصار المغولي، وجدوا بغداد غارقة في الخراب الكامل. كانت الشوارع ممتلئة بالجثث المتحللة والمشوهة لآلاف السكان الذين قضوا نحبتهم. انبعثت في الأجواء رائحة كريهة بلغت حدًا لا يُطاق، بينما تلوثت مياه المدينة بجثث الموتى، وأصبح الذباب المتكاثر ينقل الملوثات إلى الطعام المتبقي. هذه الظروف المروعة أدت إلى انتشار وباء الطاعون، الذي حصد أرواح من نجوا من المجزرة، ليكمل دائرة الفناء التي حلت بالمدينة.^(٦٨)

لم يذكر أي من المؤرخين الذين حدوث الطاعون في بغداد نفسها بشكل محدد. بل إن العديد منهم لم يسجلوا حتى وجود وباء هناك أو في العراق بشكل عام. ومع ذلك، كلهم يساهمون بصورة ما في تقديم معلومات حول مرض وبائي قاتل ظهر في مناطق قريبة من العراق أو سوريا، وربما امتد حتى إلى مصر الأبعد، وذلك في عام ١٢٥٨ بعد الغزو المغولي لبغداد. وعند التوسع في تحليل المصادر، نجد أنه بالإمكان

^(٦٧) حمد بن خالد الناصري، بغداد في ظل الاحتلال المغولي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٤، ص ٣٠٤

^(٦٨) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان (ت: ١٧٤٨هـ/١٣٤٧م) مرجع سابق، ص ٢٩٧.

مضاعفة عدد الشهود تقريباً، حيث يقدم مؤرخو القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر تواريخ دقيقة لوصول المرض إلى كل منطقة.^(٦٩)

آثار الغزو المغولي على الحياة الاقتصادية في بغداد النشاط الاقتصادي - الزراعة:

عرفت بغداد في العهد الإيلخاني بوفرة إنتاجها ورخص غلاتها الزراعية في أكثر فصول السنة، فتوفرت الفواكه بشتى أنواعها مثل التمر المكنوم والتمر الخستاي والرمال المسمى بالدراجي والعنب المراقى بالإضافة إلى زراعة القطن والحنطة والحبوب وإنتاج الخضروات بجميع أنواعها. كذلك توفر مساحات المرعى الكبيرة حتى أن القزويني وصف البقر فيها بالسمنة، كما توفر ببغداد حيوانات الصيد كثيرة العدد.^(٧٠)

كذلك نجد أن السلاطين الإيلخانيين وحكامهم في العراق لم يهتموا بتطهير الأنهار والقنوات، ولا بفتح قنوات جديدة، ومن نتائج هذا الإهمال أن الفيضانات سببت دماراً كبيراً مما تأثرت الأراضي الزراعية وغرق بغداد^(٧١). ومن آثار استيلاء المغول على بغداد إقطاع الأراضي والممتلكات لحكام المغول وقادتهم بدون وجه حق.^(٧٢)

الدافع الاقتصادي:

هناك زاوية مهمة؛ وهي أنه باستمرار مناطق السهول الفيضية تكون مطعماً للطامعين سواء من مناطق صحراوية أو غيرها، وبالتالي فالحركتين نرصدهما على أساس أن سهول ووديان المنطقة كانت مطعماً للغزاة، وكذلك خط تجارة الحرير وهو خط استراتيجي ذو أهمية كبيرة في العصور الوسطى، يبدأ من الصين ويتجه لغربها، ويمر بإيران وشمال العراق، ويمر إما في آسيا الصغرى إلى الدولة البيزنطية، أو لبلاد الشام، ثم إلى أسواق البحر المتوسط. وقد أراد المغول السيطرة على خط تجارة الحرير لوضع هذا الخط التجاري الخطير في قبضة قوة غير إسلامية، وهذا يبين لنا أن الدافع الاقتصادي وراء كل من الغزو الصليبي للمنطقة في أخريات القرن ٥هـ/

(٦٩) علي إسماعيل عبد الإلاه، منشآت الرعاية الاجتماعية والصحية في بلاد فارس منذ عهد السلطان غازان حتى نهاية الدولة الإيلخانية (٦٩٤ - ٧٣٦هـ/١٢٩٥ - ١٣٣٥م) مجلة كلية اللغة العربية، بامبو، ص ٢٦٤، ٢٠٢٥م
(٧٠) خصابك: أحوال العراق الاقتصادية ٩٦، نقلاً عن المستوفي القزويني: نزهة القلوب، ص ٤٧ - ٥٣.

(٧١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٧٨.

(٧٢) خصابك: المرجع السابق، ص ١١٠.

١١م وكذلك الغزو المغولي في النصف الأول من القرن ٧هـ / ١٣م.^(٧٣)
الواقع أن أخطر ما نجم عن الغزوات المغولية وتوسع عناصر الرعاة ساكني
استبس وسط آسيا هو التوسع على حساب المدن الحضارية (المراكز الحضارية) في
المشرق ومن أمثلتها بخارى وسمرقند ونيسابور وغيرها من مراكز المشرق
العظيمة. وكانت تلك المدن تتمتع بازدهار اقتصادي غير مسبوق نظراً لوقوعها على
خطوط التجارة العالمية وكونها مراكز لنقل المنتجات الصينية إلى غرب آسيا، وكانت
القوافل التجارية تأتي إليها، وحقت ازدهاراً مادياً من خلال دورها في حركة
الصادرات والواردات وتحولت لمراكز تجارية كبيرة.

الضرائب:

فرض المغول الضرائب الباهضة على الناس^(٧٤). وكان من أهم تلك الضرائب
ضريبة الأرض الخراج^(٧٥). وفرض على الناس ضريبة الرؤوس على الجميع بدون
تمييز ففي سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م جُمع من أهل بغداد مبالغ مالية، ما عدا الشيخ
الكبير ومن هو غير بالغ^(٧٦).
كما فرض المغول على السكان ضريبة الدور التي سكنوها وإلزام أهلها بالدفع
^(٧٧). وهذا يعطينا صورة عن الحقد المغولي للمسلمين والتضييق على أهلها بشتى
الصور.

التجارة:

لقد تأثرت التجارة في بغداد من الغزو المغولي كثيراً وخفت حركتها الداخلية
والخارجية خصوصاً الحركة التجارية بين العراق ومنطقة الجزيرة وبلاد الشام^(٧٨).
ويعود ذلك إلى العداء بين المماليك حكام مصر وبلاد الشام وبين سلاطين المغول
فكثرت الحروب بين الطرفين مما أدى إلى ضعف التجارة وشل حركتها على الطرق

^(٧٣) ابن خلدون لي الدين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: عبد
القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط الأولى، ١٩٩٧م، ص ٢٥٨.

^(٧٤) خصابك : العراق في عهد المغول ، ص ١١١ .

^(٧٥) ضريبة الخراج : هي الخارج من الأرض وكان يؤخذ مناصفة باستثناء النخل ولاشجر
فيؤخذ على حسب المساحة ، فيحسب طبقاً للسنة الشمسية ، محمد بن علي طباطبا (ابن
الطقطقا) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، توفي (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م)
، ب ط ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م) ، ص ١٨٢ .

^(٧٦) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٤٣ .

^(٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

^(٧٨) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ط ١ ، (دار الحماس
للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٦ م) ، ص ١٤٢ .

الموصلة إلى بلاد الشام^(٧٩). بالرغم من حرص سلاطين المماليك على حفظ الطرق التجارية وتوفير الأمن عليها. ففي عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م أحضر السلطان الظاهر بيبرس^(٨٠) أمراء العربان وأعطاهم وأقطعهم الاقطاعات وسلمهم الدرك وحفظ الدروب إلى حدود العراق^(٨١). ولكن العداء بين المغول والمماليك أدى إلى انعدام الأمن وقطع الطرق التجارية^(٨٢) إضافة لمضايقة المغول للأغنياء طمعاً في أموالهم وللضرائب الباهضة التي تفرض على التجار من قبل المغول مما أربك التجارة في بغداد^(٨٣).

من الآثار الاقتصادية على بغداد ما يلي:^(٨٤)

- تدمير البنية التحتية: قام المغول بتدمير قنوات الري والجسور، والتي كانت تعد من العناصر الأساسية لدعم الزراعة والتجارة في مدينة بغداد.
- دمار الموارد: أسفرت الحرب عن تدمير المحاصيل الزراعية وتخريب الحقول، مما أدى إلى حدوث نقص حاد في الغذاء وانهيار النشاط الزراعي.
- انهيار التجارة: تعرضت بغداد لفقدان مكانتها كمركز تجاري رئيسي عقب تدميرها ونهبها، مما أدى إلى تراجع دورها الاقتصادي بشكل كبير.
- خسارة الثروات: نتج عن نهب المدينة فقدان ضخم للثروات المادية والكنوز الفنية والأدبية، ما انعكس بشكل سلبي على اقتصاد بغداد والحضارة الإسلامية بوجه عام.
- تدهور طويل الأمد: ترك الغزو المغولي آثاراً مدمرة دامت لقرون، متسبباً في تدهور شامل على المستويين الاقتصادي والثقافي، واستغرقت إعادة البناء والانتعاش وقتاً طويلاً.
- النزوح والهجرة: تسبب الخراب والخوف في موجات كبيرة من النزوح السكاني، مما أثر بشكل مباشر على قوى العمل والإنتاج داخل المدينة.

^(٧٩) خصابك : أحوال العراق الاقتصادية ، ص ٤٧ - ٤٨ .

^(٨٠) الظاهر بيبرس : هو ركن الدين بيبرس الأول الصالحي ، خامس سلطان مملوكي اتصف بالشجاعة والقوة ، تارخ الملك الظاهر : عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم شداد (ت ٦٨٤ هـ) ، عناية أحمد حطيط ، (دار النشر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ص ١٥ - ١٩ .

^(٨١) المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٥ .

^(٨٢) خصابك : أحوال العراق ، ص ٥٣ .

^(٨٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٤٠ .

^(٨٤) ابن خلدون لي الدين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ هـ) ،

الخاتمة

تسببت دروس الغزو المغولي لبغداد في تدمير هائل على المستويات الحضارية والعلمية والاقتصادية، حيث نتج عنه خسارة إرث علمي وثقافي كبير، إلى جانب انتشار الأمراض بسبب الخراب الواسع، وانهيار الاقتصاد نتيجة لتدمير البنية التحتية والموارد. ورغم ذلك، ولدت هذه الكارثة رد فعل ثقافي معاكس في المناطق التي تمكنت من النجاة، مما أدى إلى ظهور نهضة علمية في مناطق أخرى كالشام ومصر.

النتائج:

١. أظهر البحث أن المغول عمدوا إلى تعطيل الحركة العلمية في بغداد من خلال هدم وتخريب المؤسسات العلمية.
٢. تبين للباحث فقدان بغداد مكانتها السياسية والعلمية بسبب هذا الغزو.
٣. كشف البحث المعاملة السيئة والإهانة والقتل لأولئك العلماء وعدم احترامهم.
٤. أظهر البحث الضرائب الباهظة على الناس بدون وجه حق.
٥. بين البحث سوء الناحية الصحية في بغداد وانتشار الأمراض في عهد المغول.
٦. سقط مكانه بغداد العلمية والاقتصادية بسبب غزو المغول اعطى فرصة للقاهرة انتزاع المكانة المرموقة عند المسلمين.
٧. تبين للباحث مدى الهمجية المغولية والحدق الدفين لديهم من خلال ما اقترفوه من قتل وتعذيب للمسلمين.

التوصيات:

١. إجراء مزيداً من البحوث عن غزو المغول لبغداد لا زال هناك غموض وخاصة الآثار الصحية والاقتصادية.
٢. ضرورة استفاد المسلمون من غزو المغول لبغداد من خلال استيعاب الدروس المستخلصة من الأسباب التي أسهمت في سقوطها، مثل غياب الوحدة السياسية والعسكرية، وتأثير هذا الأمر على استقرار البنية التحتية وحياة العلماء.
٣. ضرورة حماية العلم والعلماء بأهمية الاستثمار في مجالي التعليم والعلوم، وضرورة ضمان حماية العلماء والمفكرين، لا سيما خلال فترات الأزمات والاضطرابات.
٤. العمل على الوحدة والتنسيق العسكري والسياسي بين المسلمين كأمة مسلمة لمواجهة التهديدات الخارجية.

المراجع:

- ابن العبري، الحوادث الجامعة، العراق في عهد المغول، دار بغداد للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.
- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي، تاريخ مختصر الدول، تصحيح: الأب أنطوان صالحاني، ط٣، (دار الرائد، اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م)،
- ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: تحقيق مهدي النجم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣،
- ابن خلدون لي الدين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط الأولى، ١٩٩٧م.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج ٥، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م).
- ابن شاکر الکتبی: محمد بن شاکر: فوات الوفيات والذیل علیها، تحقیق إحسان عباس، ج٣، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م) .
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٠٢،
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
- أبو الحسن، محمد بن أحمد بن جبیر: رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤ هـ) ، ب ط، (دار صادر - بيروت، ب ت).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ج٣، (المطبعة الحسينية، مصر، ب ت) .
- أبو عبد الله، محمد بن عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي: تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٣ م) ، ص ١٧١.
- الألوسي، محمود شكري: تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الأثري، (مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٦ هـ) .
- الامام شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء: الذهبي توفي ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م حققه بشار عوار معروف ومحبي هلال السرحان ط٣، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، ج ٢٣، ص ٣٦٢،
- تاج الدين علي بن أنجب: مختصر أخبار الخلفاء، ط ١ (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٠٩هـ).

- جامع الخليفة: سمي جامع القصر، أنشأه الخليفة العباسي المكتفي، وهو بمثابة الجامع الرسمي للدولة العباسية، عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، (دار البصري، بغداد، ١٩٩٦م).
- جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، (المؤسسة المصرية العامة، ب ت).
- جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ط١، (دار الحماس للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦م).
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٤، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧ م).
- حمد بن خالد الناصري، بغداد في ظل الاحتلال المغولي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٤م.
- الخالدي، إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغزو المغولي، (مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٤ م).
- دحلان: أحمد زيني، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ط٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م).
- دي طرازي، الفيكنت فيليب: خزائن الكتب العربية في الخافقين، ج١، (مطبعة جوزيف العقلي، بيروت، ب ت).
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر تدمري، ج٤٨، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، دول الاسلام، ط٢، ج٢، (جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٦٥هـ).
- الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، ج٥، (دار الفكر - بيروت، ب ت).
- شاكر، محمود، الدولة الإسلامية الدولة العباسية، ج٢، ط٦، (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤ هـ)، تاريخ الملك الظاهر، عناية أحمد حطيط، (دار النشر الحديث، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ)، الوافي بالوفياء، تحقيق أحمد الأرناؤوط وآخرون، ج٥ (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- الصيدا، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ب ط، (مكتبة الشريف وسعيد رأفت، ١٩٧٤م).

عبد الإله، علي إسماعيل، منشآت الرعاية الاجتماعية والصحية في بلاد فارس منذ عهد السلطان غازان حتى نهاية الدولة الإيلخانية (٦٩٤ - ٧٣٦هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٣٥م) مجلة كلية اللغة العربية، بابل، ٢٠٢٥م

عبد الرؤوف، عماد عبد السلام: مدارس بغداد في العصر العباسي، ط١ (مطبعة دار البصري - بغداد، ١٩٦٦ م).

العريني: السيد باز: المغول، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م).

العلوي، عبد الحميد: تاريخ الطب العراقي، ط١، (مطبعة أسعد، بغداد)، ١٩٥٧م.

عود، كوركيس: خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة، ط٢ (دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).

قطب الدين: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٠ هـ).

القلقشندي: ابن العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق يوسف علي طويل، ج ١، ب ط، (دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م).

المستنصر، عبد الله بن منصور بالله الملقب بالمستعصم بالله العباسي، آخر الخلفاء العباسيين؛ وهو الخليفة ٣٧، ولد المستعصم بالله العباسي سنة ٦٠٩ هـ معروف ناجي: المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة، ط٢، (مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧ م).

المغربي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م)،

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، (ت: ٧١٨هـ/ ١٣١٨م): ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون، ج ١، (دار إحياء الكتب العربية، ب. ت)، ص ٣١٩